

انفعال العجلة عند الأنبياء عليهم السلام وآثاره التربوية في القرآن الكريم
Fast Reaction by Prophets and its Educational Effects in
the Holy Qur'an

عودة عبد الله*، وإبراهيم داود**

Odeh Abdullah & Ibrahim Dawoud

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين.

**كلية الدعوة الإسلامية، قلقيلية، فلسطين.

بريد الكتروني: odeh749@hotmail.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٠/٩/١٤)، تاريخ القبول: (٢٠١١/٢/٢٨)

ملخص

يقوم هذا البحث على دراسة الجانب النفسي عند الأنبياء عليهم السلام، من خلال انفعال العجلة، وانعكاساته على الأقوال والأفعال والسلوك، وتحليل هذا الانفعال، والإفادة منه في مسيرة الدعوة المعاصرة. اعتمد هذا البحث تحديداً على المشاهد القرآنية، التي عرضت لبعض المواقف التي حصل فيها انفعال العجلة لدى الأنبياء عليهم السلام، للوقوف على أسبابه والآثار المترتبة عليه. وتبين أن العجلة التي حصلت لبعض الأنبياء عليهم السلام، كانت من النوع المشروع الذي لا يلام عليه البشر في العادة. وأن هذا الانفعال لم يؤد إلى مخالفات شرعية جوهرية، وإن حصل بسببه بعض الخطأ اليسير المقبول على الأنبياء باعتبارهم بشرأ، فسرعان ما كان التوجيه الإلهي يصوب ويسدد. ومن خلال دراسة هذا الانفعال في سلوك الأنبياء عليهم السلام فإننا نلمس فيه العديد من الجوانب التربوية التي تشكل نموذجاً هادياً يُحتذى به. فقد لمسنا من خلال تحليل هذه الظاهرة عند الصفة المختارة أن العجلة التي هي انفعال نفسي ينبغي ألا تؤدي إلى الانحراف عن المنهج الصحيح والجنوح إلى الخطيئة.

Abstract

This research is based on studying the psychological aspects of the prophets through the fast reaction and its reflections on sayings, actions and behavior, and analyzing these aspects in order to benefit from them in the process of the contemporary call to Islam. Quran presented some situations in which the prophets did fast reaction. It was indicated that the

fast reaction which occurred to some prophets, may Allah's peace be upon them, was a legitimate kind for which human beings are not blamed. Also, this fast reaction did not lead to essential violations of the religious law. If little mistake which is accepted from the prophets being human, had occurred, some divine guidance would have corrected and rectified it. Through studying this reaction in the prophets' behavior, we perceive many educational aspects which form a guiding model to be emulated. Also, shown that fast reaction, which is psychological excitement, shouldn't lead to deviation from proper conduct.

المبحث الأول: مفهوم العجلة وأقسامها

أولاً: معنى العجلة

تكاد معاجم اللغة تجمع على أن العجلة في اللغة معناها: السرعة، التي هي ضد البطء^(١). وأصل العجلة: خشبة معترضة على البئر، والغَرْب معلق بها^(٢). وهي كذلك: طوق أو قرص قابل للدوران^(٣). وهذا الغَرْب المعلق على الخشبة وهذا الطوق لا ينتج أثراً إلا بتحريكه حركة سريعة. وأما الاستعجال والإعجال والتعجل فمعناها واحد وهو: الاستحاث وطلب العجلة^(٤). ومنه قوله تعالى: (أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ)^(٥). أي: "أسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم إتياني قبل الوقت الذي قدر به"^(٦).

- (١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب. ١٥ مج. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا ت. ج ١١ ص ٤٢٥. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح. ط: ١. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٩٧٩ م. ص ٤١٥. الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. ١٠ مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة الحياة. بلا تاريخ. ج ٨ ص ٦. الجوهرى، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ٧ مج. ط: ٣. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٧٩ م. ج ٥ ص ١٧٦٠. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. ٤ مج. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ. ج ٤ ص ١٢.
- (٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر. ٥ مج. تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناخي. بلا طبعة. بيروت: المكتبة الإسلامية. بلا تاريخ. ج ٣ ص ١٨٦.
- (٣) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. بلا طبعة. القاهرة: مجمع اللغة العربية. بلا تاريخ. ص ٥٨٦.
- (٤) ابن منظور: لسان العرب. ج ١١ ص ٤٢٥.
- (٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.
- (٦) ابن عطية، عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ٦ مج. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط: ٢. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٧ م. ج ٢ ص ٤٥٧.

وأما العجلة في الاصطلاح: فقد عرّفها الراغب الأصفهاني بأنها: "طلب الشيء وتحريه قبل أوّانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن الكريم حتى قيل (العجلة من الشيطان)"^(١).

وطلب الشيء قبل أوّانه إنما يدل على عدم التأني أو التروي، وهذا يشمل الأمور كلها تقريباً، والدافع لهذه العجلة هو الشهوة في الغالب التي إذا تحكّمت بإرادة الإنسان حرفته عن المسار الصحيح.

وهناك من فرق بين العجلة والسرعة، فجعل العجلة مذمومة، والسرعة ممدوحة، وهذا ما فعله أبو هلال العسكري حين قال: "العجلة: التقدم بالشيء قبل وقته وهو مذموم، والسرعة: تقديم الشيء في أقرب أوقاته وهو محمود. ويشهد للأول قوله تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ)"^(٢)، وقوله تعالى: (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)"^(٣)، وللثاني

واللثاني في قوله تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)"^(٤).

- (١) جزء من حديث نصه "التأني من الله والعجلة من الشيطان، وما من شيء أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد" رواه أبو يعلى في مسنده بتمامه، والبيهقي بدون "وما من شيء أكثر...". وصححه الهيثمي والألباني. انظر: أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي: مسند أبي يعلى. ٧ مج. تحقيق: مصطفى عطا. ط: ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٨م. حديث رقم (٤٢٤٠). ج ٣ ص ٤٣. البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، ١٠ مج. بلا طبعه الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. ١٣٣٥ هـ. ج ١٠ ص ١٠٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ١٠ مج. ط: ٢. بيروت: دار الكتاب العربي. بلا تاريخ. ج ٨ ص ١٩. الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة. ٨ مج. بلا طبعه الرياض: مكتبة المعارف. ١٩٩٥م. حديث رقم (١٧٩٥). ج ٤ ص ٤٠٤.
- (٢) الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. بلا طبعه القاهرة: المكتبة التوفيقية. بلا ت. ص ٣٢٦.
- (٣) سورة طه: الآية ١١٤.
- (٤) سورة النحل: الآية ١.
- (٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.
- (٦) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الفروق اللغوية. تحقيق: محمد سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة. بلا طبعه وتاريخ. ص ٢٧٦.

غير أن ما ذكره أبو هلال العسكري وتبعه فيه القرطبي^(١) غير مطّرد، ويعارض ما جاء في القرآن الكريم، إذ كيف نفهم قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: (وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ

رَبِّ لِرَضَى)^(٢). فلا يعقل أن يقال: إن العجلة إلى الله تعالى أمر مذموم.

وبالنظر في القرآن الكريم فإننا نجد أنّ كلمة العجلة ومشتقاتها قد وردت في تسعة وثلاثين موضعاً^(٣) يدور معناها في الغالب على السرعة وعدم التأني.

وقد فطر الله الخلق على العجلة فقال تعالى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)^(٤). يقول الإمام

النسفي رحمه الله: "والظاهر أن المراد الجنس، وأنه ركّب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل، ولأنه يكثر منه، والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم، فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال: ليس يبدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركّب فيه"^(٥).

ويؤكد الشيخ الميداني أن نفس الإنسان كوّنت من الاستعجال فيقول: "إن الإنسان خلق من جسد ونفس، أما الجسد فقد أبان الله أن عنصره مخلوق من الماء والتراب، وأما النفس فدل قول الله تعالى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)^(٦). على أن السرعة من العناصر الكبرى التي كوّنت نفس الإنسان منها؛ لأن السرعة من صفات النفس لا من صفات الجسد"^(٧).

وكلام النسفي والميداني يفيدنا في معرفة مدى ارتباط العجلة بالعامل النفسي أو الانفعال النفسي، هذا الانفعال الذي يشترك فيه الأنبياء مع غيرهم من البشر، انطلاقاً من طبيعتهم البشرية، لكنه عند الأنبياء لا يقود إلى الانحراف والضلال كما يحصل عند بعض الناس، بل فيه قيم تربوية سنحاول الوقوف عليها في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. ٢٢ مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ. ج ٧. ص ٢٨٨

(٢) سورة طه: الآية ٨٤.

(٣) عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. بلا طبعة. القاهرة: دار الحديث. ٢٠٠١ م. ص ٥٤٨-٥٤٩.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٧.

(٥) النسفي، عبد الله بن أحمد: تفسير النسفي. ٢ مج. بلا طبعة. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٩٨٢ م. ج ٣ ص ٧٨.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٣٧.

(٧) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: معارج التفكير ودقائق التدبير. ١٥ مج. ط: ١. دمشق: دار القلم. ٢٠٠٦. ج ٤ ص ٣٠٣.

ثانياً: أقسام العجلة

بعد استعراض مفهوم العجلة في اللغة والاصطلاح، وبالنظر في دلالات العجلة في القرآن الكريم، تبين أن انفعال العجلة يقسم إلى قسمين :

الأول: ممدوح: وهو العجلة في استجلاب مرضاة الله تعالى

من ذلك قوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)^(١). وقد استدلل الفخر الرازي بهذه الآية على أن العجلة ممدوحة في الدين^(٢). وقوله تعالى: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)^(٣). وهذه السرعة وهذا الفرار إلى طاعة الله تعالى ونيل رضاه دل على فضيلته ومدحه وإيجابيته، ومن ذلك جواب موسى عليه السلام لربه تعالى: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ)^(٤). والمعنى: "التزدد عني رضا"^(٥).

الثاني: مذموم: وهو الاندفاع وعدم التروي والتأني واستعجال الشيء قبل أوانه

وغالب ما ورد في القرآن الكريم من كلمة العجلة ومشتقاتها من هذا النوع، ومن ذلك قوله تعالى: (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)^(٦). وقوله تعالى: (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)^(٧). وإنما سميت الدنيا بالعجلة لسرعة فنائها وزوالها. وقوله تعالى: (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ)^(٨). قال ابن عاشور: "فلما هددهم القرآن

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٢) الرازي، محمد بن عمر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. ١٥ مج. ط: ٣. بيروت: دار الفكر. ١٩٨٥ م. ج ١١ ص ٩٨.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٠.

(٤) سورة طه: الآية ٨٤.

(٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم. ٧ مج. ط: ٢. بيروت: دار الفكر. ١٩٧٠. ج ٤ ص ٥٣١.

(٦) سورة النحل: الآية ١.

(٧) سورة الإنسان: الآية ٢٧.

(٨) سورة ص: الآية ١٦.

بعذاب الله قالوا: ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب في الدنيا قبل يوم الحساب إظهارا لعدم اكتراثهم بالوعيد وتكذيبه... فالقول هذا قالوه على وجه الاستهزاء وحكي عنهم هنا إظهارا لرقاعتهم وتصلبهم في الكفر"^(١).

وعند قوله تعالى: (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)^(٢)، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن التعجل مذموم مطلقا ولو في أمور الدين"^(٣). ولا نسلم للدكتور وهبة هذا التعميم، ويمكن الرد عليه بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من أوامر واضحة تدعو إلى المسارعة في فعل الخيرات والمبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل أن يفاجأ الإنسان بما يشغله عن فعلها من موت أو مرض أو سبب آخر، وقول الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)^(٤)، وقوله تعالى: (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ)^(٥)، وقول الرسول صلى

صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم"^(٦)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "بادروا بالأعمال سنا"^(٧). دليل على أن العجلة والسرعة والمسابقة في أمور الدين وفعل الخير ممدوحة.

يتبين مما سبق أن العجلة تكون ممدوحة أو مذمومة بحسب القصد منها، فالعجلة تكون صفة ذميمة في الإنسان، إذا كان فيها طلب للشيء قبل أوانه، واستعجال للنتائج دون توفر المقدمات، فتكون النتيجة التقصير، كمن يقطف الثمرة قبل نضجها، فإنه يحرم نفسه مذاقها واكتمال فائدتها. أما الإسراع في عمل الخير واغتنام الفرص قبل ضياعها، فهذا مفهوم إيجابي يجب الحرص عليه، إذ لا بد من الإقدام على العمل والمشاركة إليه إذا توفرت الشروط والمقدمات.

فالإسلام لا يريد أن يعلم أبناءه الكسل في أداء الواجبات والتمادي في العمل والحركة البطيئة، فنظرة الإسلام إلى العجلة لا إفراط فيها ولا تفريط؛ فكما أن التأني مطلوب في ظروف معينة، فإن العجلة كذلك مطلوبة في ظروف أخرى، فثمة مواقف لا يناسبها التأجيل والتسويف

- (١) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. ١٢ مج. بلا طبعة. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. بلا تاريخ، ج ٢٣ ص ٢٢٤.
- (٢) سورة القيامة: الآية ١٦.
- (٣) الزحيلي، د وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ١٥ مج. ط: ١. دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر. ١٩٩٨ م. ج ٢٢ ص ٦٢٨.
- (٤) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.
- (٥) سورة الحديد: الآية ٢١.
- (٦) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. ٥ مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. ١٩٨٣ م. كتاب الإيمان. باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن. حديث رقم (١١٨).
- (٧) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفتن. باب في بقية من أحاديث الدجال. حديث رقم (٢٩٤٧). ج ٤ ص ٢٢٦٧.

كاغتنام الأوقات، وتعجيل الفطر للصائم، وإغاثة الملهوف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال صلى الله عليه وسلم: "التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة"^(١).

المبحث الثاني: مشاهد انفعال العجلة عند الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم انفعال العجلة عند بعض الأنبياء عليهم السلام في مناسبات عديدة، وضمن مشاهد ووقائع مختلفة، وقد كان هذا الانفعال متفاوتا بينهم من حيث الشدة والضعف ومن حيث الأسباب والدوافع.

وسنتكلم في هذا المبحث عن مشاهد انفعال العجلة عند الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم:

المطلب الأول: مشاهد العجلة عند موسى عليه السلام

يُعد موسى عليه السلام أشد الأنبياء عليهم السلام انفعالا، وخاصة في انفعال العجلة، ولا أدل على ذلك من وصف الله تعالى له بالعجلة، في قوله تعالى: (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ

يَمُوسَى) ^(٢). ولم يصف الله تعالى أحدا من أنبيائه بهذا الوصف سواه.

أما مشاهد انفعال العجلة عند موسى عليه السلام في القرآن الكريم فهي:

المشهد الأول: عجلة موسى عليه السلام في القدوم إلى الله تعالى منفصلا عن قومه

قال تعالى: (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى) ^(٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي

وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ^(٤).

ففي هذا المشهد يبرز بوضوح انفعال العجلة والاندفاع من موسى عليه السلام حتى إن الله تعالى عتب "على كليمه المختار تعجله في ذاته، وعتب عليه أن سبق قومه وتركهم، وهم يحتاجون إلى رعايته ومراقبة خواطرهم ببصيرته، وهم قريبو عهد بمعاشرة الفاسقين" ^(٤) ^(٥).

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني. انظر: أبا داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود. اعتنى به: مشهور آل سلمان. ط: ١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ. كتاب الأدب. باب في الرفق. حديث رقم (٤٨١٠). ص ٧٢٢. الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح وضعيف سنن أبي داود، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، حديث رقم (٤٨١٠)، ج ١٠ ص ٣١٠.

(٢) سورة طه: الآية ٨٣.

(٣) سورة طه: الأيتان ٨٣، ٨٤.

(٤) أبو زهرة، محمد: زهرة التفاسير. ١٠مج. بلا طبعة. القاهرة: دار الفكر العربي. بلا تاريخ. ج ٩ ص ٤٧٦٦.

ومعنى سؤال الله تعالى له بقوله: (وَمَا أَعْجَلَكَ) أي: ما الذي دفعك إلى العجلة والقدم إلينا "منفصلاً عن قومك"^(١).

قال الزمخشري: "أي شيء عجل بك عنهم؟ على سبيل الإنكار"^(٢).

لكن هذا الإنكار من الله تعالى على عجلة موسى عليه السلام أكان على سبب العجلة؟ أم على العجلة ذاتها؟ أم على كليهما؟

يرى الزمخشري رحمه الله أن الإنكار كان على سبب العجلة، لا على العجلة ذاتها، كما يلاحظ من قوله السابق: "أي شيء عجل بك عنهم؟" أي ما سبب عجلتك؟

وقد تابع أبو السعود الإمام الزمخشري في أن الإنكار كان على سبب العجلة فقط بقوله: "وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء، مسوق لإنكار انفراده عنهم، لما في ذلك من مخايل إغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأموراً باستصحابهم وإحضارهم معه، لا لإنكار نفس العجلة"^(٣).

أما الرازي والبيضاوي فيريان أن الإنكار كان على الاثنين معاً، على العجلة وعلى سببها. يقول الرازي: "إن سؤال الله تعالى يتضمن شيئين: أحدهما إنكار نفس العجلة، والثاني السؤال عن سبب التقدم"^(٤). ويقول البيضاوي: "سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها، انضمت إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم"^(٥).

والخلاصة: أن أئمة التفسير متفقون على أن الاستفهام في قوله تعالى: (وَمَا أَعْجَلَكَ)

للإنكار، وأن هذا الإنكار مسلط على سبب العجلة، بينما نراه مختلفين في العجلة نفسها فمنهم من يرى أن الإنكار يشملها ومنهم من لا يرى ذلك.

وكان الله تعالى يريد أن ينبه نبيه موسى عليه السلام بهذا الإنكار إلى:

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ٢ مج. ط: ١. فلسطين: مطبعة النور. ج ٢ ص ٦٩٠.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: خليل مأمون شيبان. ط: ٢. بيروت: دار المعرفة. ٢٠٠٥. ص ٦٦٣.

(٣) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ٦ مج. ط: ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٠ م. ج ٤ ص ٢٩٩.

(٤) الفخر الرازي: التفسير الكبير. ج ٢٢ ص ٩٩. وانظر: الألوسي، السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ١٥ مج. بلا طبع. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ. ج ٦ ص ٢٤١.

(٥) البيضاوي، عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بهامشه حاشية أبي الفضل القرشي الصديقي. ٢ مج. بلا طبع. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ. ج ٢ ص ٢٨.

١. ضرورة التقيد الحرفي بالأوامر^(١).
٢. ضرورة الالتزام بما يرسمه الله تعالى من منهاج، ومن ذلك الالتزام بموعد اللقاء الذي سبقه موسى عليه السلام، ولم يمكث مع قومه، فاستخفوا بهارون عليه السلام وأساءوا معاملته^(٢).

وقد جاء جواب موسى عليه السلام على سؤال الله تعالى له بقوله: (قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ

أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ)^(٣). أي أن قومه سائرون على أثره، ودلت كلمة الأثر على القرب الشديد، حتى قال أبو السعود: "إنهم معي وإنما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت أنها لا تخل بالمعنى ولا تقدح في الاستصحاب"^(٤).

والأثر: العلامة وبقيّة الشيء^(٥). وهو: "ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدم أو حافر أو خف... والمعنى: هم أولاء سائرون على مواقع قدمي أي موالون لي في الوصول"^(٦).

وقول موسى عليه السلام: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ)^(٧). فيه بيان الدافع النفسي الذي

الذي جعله يتعجل ويسرع إلى لقاء الله تعالى منفصلاً عن قومه، وهو نيل رضا الله تعالى. قال القرطبي: "أي عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه لترضى عني"^(٨).

ولا شك في أن دافع هذه العجلة، والمتمثل في نيل رضا الله تعالى - كما صرح بذلك موسى عليه السلام - هو دافع إيجابي وممدوح، لكن العمل بحد ذاته (العجلة) كان مذموماً، ولهذا أنكر الله تعالى على موسى عليه السلام. قال الراغب الأصفهاني عن هذه العجلة: "فذكر - أي موسى عليه السلام - عجلته وإن كانت مذمومة، فالذي دعا إليها محمود وهو طلبه رضا الله تعالى"^(٩).

وهنا يأتي الرد على الزمخشري وأبي السعود في أن إنكار الله تعالى على موسى عليه السلام إنما كان على السبب والدافع وليس على العجلة نفسها، إذ إن في هذا القول نوعاً من

(١) حوّى، سعيد: الأساس في التفسير. ١٢ مج. ط: ١. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر. ١٩٨٥. ج ٧ ص ٣٣٧٩.

(٢) المطعني، عبد العظيم إبراهيم: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم. ٤ مج. ط: ١. القاهرة: مكتبة وهبة. ١٩٩٠ م. ج ٢ ص ٣١٨.

(٣) سورة طه: الآية ٨٤.

(٤) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. ج ٤ ص ٢٩٩.

(٥) مصطفى: المعجم الوسيط. ص ٥.

(٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج ٧ ص ٢٧٨.

(٧) سورة طه: الآية ٨٤.

(٨) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج ١١ ص ٢٣٣.

(٩) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص ٣٢٦.

التشكيك في موسى عليه السلام، خاصة أن موسى عليه السلام قد صرح ووضح وهو الصادق في قوله إن دافعه إلى هذه العجلة هو: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) (١).

المشهد الثاني: العجلة في الاعتراض على تصرفات ظاهرها المنكر

يقتصر هذا المشهد على قصة موسى مع الخضر عليهما السلام التي جاء ذكرها مفصلاً في سورة الكهف من قول الله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا

وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ

رُشْدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ

اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) إلى قوله: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَن

أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) (٢).

فمشهد تكرر استعجال موسى عليه السلام على إنكار تصرفات العبد الصالح (الخضر) (٣) وأفعاله في ثلاثة مواضع متفرقة، وفي أمكنة وأزمنة الله أعلم كم كان الفارق الزمني بينها، دل على طبيعة موسى عليه السلام الانفعالية المتعجلة. يقول سيد قطب عند هذا المشهد: "إن طبيعة موسى عليه السلام طبيعة انفعالية اندفاعية، كما يظهر من تصرفاته في كل أدوار حياته... نعم إن طبيعة موسى عليه السلام هي هذه الطبيعة، ومن ثم لم يصبر على فعلة الرجل، ولم يستطع الوفاء بوعده الذي قطعه أمام غرابتها" (٤).

(١) سورة طه: الآية ٨٤.

(٢) سورة الكهف: الآيات ٦٥-٨٢.

(٣) كما ثبت اسمه في صحيح البخاري ومسلم. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند المختصر (صحيح البخاري) ٣ مج. تبويب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: ١. القاهرة: مكتبة الصفا. ٢٠٠٣م. كتاب أحاديث الأنبياء. باب حديث الخضر مع موسى عليها السلام. حديث رقم (٣٤٠١). ج ٢ ص ١٥٢. مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب من فضائل الخضر عليه السلام. حديث رقم (٢٣٨٠). ج ٤ ص ١٨٤٧.

(٤) قطب، سيد: في ظلال القرآن. ٦ مج. ط: ١٧. القاهرة، بيروت: دار الشروق. ١٩٩٢. ج ٤ ص ٢٢٧.

وستنطرق إلى هذه المواضع الثلاثة التي استعجل موسى عليه السلام فيها اعتراضه على تصرفات الخضر عليه السلام لنتبين من خلالها شدة انفعال العجلة عند موسى عليه السلام، وهل كان محقا فيها؟ أم أنه اعترته بعض الجوانب البشرية التي تصيب البشر بحكم بشريتهم من التعجل والذهول والاستغراب وعدم الصبر، خاصة أمام تصرفات ظاهرها المنكر. وقبل ذكر هذه المواضع لا بد من الإشارة إلى أن اتفاقاً حصل بين موسى والخضر عليهما السلام قبل البدء بالرحلة العلمية، يقوم على ركنين رئيسيين، هما:

الأول: على موسى عليه السلام - بوصفه طالب علم - أن لا يسأل الخضر عليه السلام عن أي تصرف أو شيء يقوم به، وعليه أن يصبر ويتحمل ولا يتعجل الاعتراض حتى يبينها له الخضر عليه السلام. قال تعالى على لسان الخضر: (قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ

حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) (١).

الثاني: على موسى عليه السلام الطاعة والانقياد للخضر عليه السلام. قال تعالى على لسان موسى عليه السلام معاهدا الخضر: (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ

أَمْرًا) (٢).

بعد هذا الاتفاق كان الواجب على موسى عليه السلام أن "يضبط أعصابه، ويكبح اندفاعه، ويصبر على ما يراه" (٣). وما من شك أن موسى عليه السلام استحضر نية الصبر والطاعة، وكيف لا يفعل ذلك وهو ما خرج إلى لقاء الخضر عليه السلام إلا من أجل أن يتعلم، وما لاقى في سفره من النصب والتعب إلا لهذه الغاية.

ونأتي الآن إلى بيان المواضع التي تعجل موسى عليه السلام فيها الاعتراض على تصرفات الخضر عليه السلام:

(١) سورة الكهف: الآية ٧٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٩.

(٣) الخالدي، صلاح: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. ٤ مج. ط: ٢. دمشق: دار القلم. ٢٠٠٧. ج ٣ ص ٣١٦.

الموضع الأول: عجلة موسى عليه السلام بالإنتكار على خرق الخضر عليه السلام للسفينة
قال تعالى: (فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكَبَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالِ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا
تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) ^(١).

والفاء في قوله تعالى: (فَأَنْطَلَقَا) للترتيب والتعقيب ^(٢)؛ أي أنهما ما إن اتفقا وتعاهدا حتى
ركبا في السفينة. فقام الخضر عليه السلام بخرق السفينة، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم
معنى الخرق بقوله: "فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه" ^(٣)، وقد كان الخضر يدرك
لماذا يخرق السفينة، بينما موسى عليه السلام ينظر إلى هذا التصرف على أنه إفساد في السفينة
"لا مبرر له في نظر المنطق العقلي" ^(٤). وأمام هذا المشهد ينفعل موسى عليه السلام متعجلا ،
فيسارع في الإنكار والاعتراض، ويستعجل ولا يصبر، وينسى العهد والاتفاق.
وقول موسى عليه السلام مستقهما: (أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا). هذا الاستفهام للإنكار،
واللام في (لِتُغْرِقَ) الأرجح أنها للتعليل وليس للعاقبة؛ لأنه الأنسب لمقام الإنكار ^(٥).

وهذا الإنكار من موسى عليه السلام جاء باندفاع نفسية وعجلة غير مقصودة ، وذلك حين
قال للخضر عليه السلام: (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) ويأتي
الإرهاق بمعنى العجل ^(٦). أي لا تعجل عليّ كما تعجلت وتسرعت ولا "تضيّق عليّ ولا
تشدد" ^(٧).

- (١) سورة الكهف: الآيات ٧١-٧٣.
- (٢) أبو زهرة: زهرة التفاسير. ج٩ ص٤٥٦١.
- (٣) البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب حديث الخضر وموسى عليهما السلام. حديث رقم (٣٤٠١). ج٢ ص١٥٢.
- (٤) قطب: في ظلال القرآن. ج٤ ص٢٢٧٩.
- (٥) الألوسي: روح المعاني. ج ١٥ ص ٣٣٦.
- (٦) مصطفى: المعجم الوسيط. ص ٣٧٨.
- (٧) حوى: الأساس في التفسير. ج٦ ص ٣٢١٠.

والظاهر في هذا الموضع من هذا المشهد أن انفعال العجلة عند موسى عليه السلام كان محدودا وله ما يسوغه، إذ "إن فعلة الخضر عليه السلام بقلع لوح السفينة، عجيبة مرفوضة من حيث ظاهرها، فالقوم أكرمهم وحملوهم مجانا^(١)، ويجب أن يقابل إكرامهم بالإحسان وليس بخرق السفينة، فموسى عليه السلام نظر للحادثة من حيث الظاهر، ولذلك سارع بالاعتراض والإنكار، ولم يعرف حقيقة الحادثة ولم يقف على خبرها وباطنها"^(٢).

ولكن هذا التبرير قد يواجه بأن هذا الانفعال سبب إخلالا بالعهد الذي قطعه موسى عليه السلام على نفسه حين قال: (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا)^(٣). كما

سبب له إنكارا من الخضر عليه السلام حين قال له: (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّا لَنَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)^(٤). وهذا القول "متضمن للإنكار على عدم وقوع الصبر من موسى عليه السلام"^(٥).

فإذا نظرنا إلى هذا الانفعال من هذا الباب نرى أن موسى عليه السلام قد تعجل في الاعتراض والإنكار، ولم يضبط نفسه أمام هذا التصرف غير العادي من الخضر عليه السلام.

الموضع الثاني: عجلة موسى عليه السلام بالاعتراض على قتل الخضر عليه السلام للغلام

قال تعالى: (فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ

نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)^(٦).

فهذا الحدث وقع في مكان وزمان غير مكان الحدث الأول وزمانه. وقد أشار حديث مسلم إلى ذلك: "ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه، فاقتلعه بيده، فقتله"^(٧).

(١) الحديث البخاري ومسلم واللفظ لمسلم وفيه: " ففرقوا الخضر فحملواهما بغير نول. "انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب ما يستحب للعالم إذا سأل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله. حديث رقم (١٢٢). ج ١ ص ٥٥. مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب من فضائل الخضر عليه السلام. حديث رقم (٢٣٨٠). ج ٤ ص ١٨٤٩.

(٢) الخالدي: القصص القرآني. ج ٣ ص ٣٢١-٣٢٢.

(٣) سورة الكهف: الآية ٦٩.

(٤) سورة الكهف: الآية ٧٢.

(٥) الألوسي: روح المعاني. ج ١ ص ٣٣٧.

(٦) سورة الكهف: الآية ٧٤.

(٧) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب من فضائل الخضر عليه السلام. حديث رقم (٢٣٨٠). ج ٤ ص ١٨٤٩.

والفاء في قوله: (فَقَتَلَهُ) للتعقيب، أي إن الخضر عليه السلام قتل الغلام فور لقائه، وهذا يدل على أن الغلام "لم يرتكب ما يسوّغ القتل، إذ إن القتل كان فور اللقاء"^(١).
وأمام هذا التصرف الفظيع، والعمل الخطير، لا يتمالك موسى عليه السلام نفسه ولا يضبط أعصابه، فيقول باندفاع وعجلة: (أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا)^(٢)، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الذعر الذي أصاب موسى عليه السلام بقوله: "فدعر عندها موسى عليه السلام ذعرة منكورة"^(٣). وهذه الحالة النفسية التي وصل إليها موسى عليه السلام هي التي دفعته متعجلاً دون نسيان للعهد أن ينكر على الخضر عليه السلام فعلته. فموسى عليه السلام "ليس ناسياً في هذه المرة ولا غافلاً، ولكنه قاصد. قاصد أن ينكر هذا النكر الذي لا يصبر على وقوعه، ولا يتأول له أسباباً"^(٤).

ويبدو أن انفعال العجلة في هذا الموضوع كان أشد منه في الموضوع الأول للأسباب الآتية:

١. وصف موسى عليه السلام عملية قتل الغلام بأنها كانت بغير حق بقوله: (أَقْتَلْتُ نَفْسًا

زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ).

٢. اعتبار الفعل بأنه (نُّكْرًا)؛ أي شديد النكارة^(٥). وهو "منكر في ذاته تستنكره العقول"^(٦).
وقيل معناه: "جئت شيئاً أنكروا من الأول، لأن ذلك كان خرقاً يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه"^(٧). وقال الرازي: "النكر أعظم من الأمر في القبح"^(٨).
وقد واجه موسى عليه السلام على تعجله إنكاراً ولوماً من الخضر عليه السلام أشد من الإنكار الأول، حيث قال له: (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)^(٩). فأضاف كلمة

(١) أبو زهرة: زهرة التفاسير. ج٩ ص٤٥٦٣.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٤.

(٣) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب من فضائل الخضر عليه السلام. حديث رقم (٢٣٨٠).

ج٤ ص١٨٥١.

(٤) قطب: في ظلال القرآن. ج٤ ص٢٢٨٠.

(٥) الألوسي: روح المعاني. ج١٥ ص٣٣٩.

(٦) أبو زهرة: زهرة التفاسير. ج٩ ص٤٥٦٣.

(٧) الزمخشري: الكشاف. ص٦٢٦.

(٨) الفخر الرازي: التفسير الكبير. ج٢١ ص١٥٦.

(٩) سورة الكهف: الآية ٧٥.

(لَك). وهي "تفيد مزيد اللوم ، إذ يذكره بأن الخطاب كان له، وفي ذلك فضل توكيد للوم"^(١). وكأنه يقول لموسى عليه السلام بأن الخطاب كان لك لا لغيرك من الناس، فلماذا تعود مرة ثانية للاعتراض على فعل لا تدري كنهه وسره.

الموضع الثالث: عجلة موسى عليه السلام بالاعتراض على بناء الخضر عليه السلام للجدار

قال تعالى: (فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ

يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ^ط قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ

عَلَيْهِ أَجْرًا)^(٢).

تابع الخضر وموسى عليهما السلام سيرهما حتى وصلا إلى قرية كان أهلها لناما ، لا يطعمون جائعا ، ولا يضيِّفون زائرا ، وقد كانا جائعين يريدان طعاما، فقله تعالى: (اسْتَطَعَمَا

أَهْلَهَا) أي "فور اللقاء مع أهلها طلبا الطعام ... لأنهما كانا في جوع شديد"^(٣). وقد كان رد أهل

القرية لئىما خسيسا ، فقد رفضوا إطعامهما ، وفي أثناء وجودهما في أحد شوارعها (فَوَجَدَا

فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ) ومعنى أقامه؛ أي أصلحه^(٤). فلم يتمالك موسى عليه

السلام نفسه أمام هذا المشهد فيبادر واستعجل بالاعتراض على هذا التصرف، ولكن بنبرة واندفاع أقل حدة من الموضعين الأول والثاني قائلا: (لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا). يقول

الألوسي: "وكان الكلیم عليه السلام لما رأى الحرمان ومساس الحاجة والاشتغال بما لا يعني لم يتمالك الصبر فاعترض"^(٥).

(١) أبو زهرة: زهرة التفسير. ج ٩ ص ٤٥٦٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٧.

(٣) أبو زهرة: زهرة التفسير. ج ٩ ص ٤٥٦٦.

(٤) الفاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل. ١٠ مج. تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. القاهرة: دار

إحياء الكتاب العربية. بلا تاريخ. ج ١ ص ٤٠٨٢.

(٥) الألوسي: روح المعاني. ج ١٦ ص ٧.

وبعد تتبّع انفعال العجلة عند موسى عليه السلام في هذه المواضع الثلاثة من هذا المشهد، نرى أن هذا الانفعال كان ظاهراً جلياً، فالاستعجال في الاعتراض على أعمال الخضر عليه السلام مع تعهده المسبق بالصبر، دلّ على نفسية موسى عليه السلام الانفعالية والمندفة التي تسببت في قطع هذه الرحلة المباركة، ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "يرحم الله موسى لو كان صبر ليقصّ علينا من أمرهما"^(١). وفي رواية لمسلم قال صلى الله عليه وسلم: "رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة"^(٢) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا، ولو صبر لرأى العجب"^(٣).

فهذا الإيضاح من الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان حالة موسى عليه السلام يرينا حالة التعجّل لموسى عليه السلام. ولكنّ هذا الانفعال لا يؤثّر في النبوة والرسالة ولا في العصمة والبلاغ، وإنما هو عارض من العوارض التي تصيب البشر بحكم بشريتهم.

المطلب الثاني: مشاهد انفعال العجلة عند نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم

المتتبّع لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله، يجده آية في الحلم والأناة والرفق والصبر ووزن الأمور قبل الشروع فيها، ولكنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان كباقي البشر يعترضه ما يعترضهم من العوارض البشرية بحكم بشريته، ومنها انفعال العجلة، وقد وجدنا بعد التأمل في آيات الذكر الحكيم مشهدين من مشاهد انفعال العجلة عند نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم، أحدهما في العهد المكي، والآخر في العهد المدني.

المشهد الأول: عجلة محمد صلى الله عليه وسلم في تلقّي القرآن الكريم وحفظه

قال تعالى: (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٦﴾)

فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٨﴾

لم يختلف السلف في أن الخطاب في هذا المشهد موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ينهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحرك لسانه بالقرآن متعجلاً به عند

(١) البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب حديث الخضر وموسى عليهما السلام. حديث رقم (٣٤٠١). ج ٢ ص ١٥٢.

(٢) الذمامة: بفتح الذال المعجمة أي: استحياء لتكرار مخالفته. وقيل ملامة. والأول هو المشهور. انظر: النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي. ٩ مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. ١٩٨١ م. ج ١٥ ص ١٤٤.

(٣) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب من فضائل الخضر عليه السلام. حديث رقم (٢٣٨٠). ج ٤ ص ١٨٥.

(٤) سورة القيامة: الآيات ١٦-٢٠.

(٥) ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ١٣ مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ. ج ٨ ص ٦٨٠.

عند نزول الوحي. وهذا النهي فيه معنى الإرشاد والتعليم ، وذلك أن هذه الآيات نزلت في بدايات عهد النزول^(١). فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي بالقرآن يتعجل بتحريك لسانه وشفثيه ، كي يستطيع أن يحفظه ويتقن تلاوته ، فكان الوحي يقرأ والرسول صلى الله عليه وسلم يحرك معه شفثيه بالقراءة، فيجهد نفسه ويشد عليه الأمر، فجاء النهي متضمنا للتعليم بعدم تحريك اللسان للتعجل بحفظ القرآن. وقوله تعالى: (لَتَعَجَّلَ بِهِمْ)؛ أي: "لتأخذه على عجلة ولنلا يتقلت منك"^(٢).

ومعرفة سبب نزول هذا المشهد تكشف بجلاء ووضوح عن انفعال العجلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلاقي وحي السماء حاملا معه آيات من كتاب الله الخالد. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفثيه، فيشد عليه، وكان يُعرف منه، فأنزل الله الآية التي في (لا أقسم بيوم القيامة) (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِمْ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُدُ

وَقُرْآنَهُ)^(٣). قال: علينا أن نجمعه في صدرك، (وَقُرْآنَهُ ۗ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (وَ

فإذا أنزلناه فاستمع ، (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)^(٤) علينا أن نبينه بلسانك. قال: "فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله"^(٥).

فتخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعلما له، وطمأنة لقلبه، أرشده ربه عز وجل ألا يستعجل ولا يجهد نفسه عند تلقي الوحي. لأن الله تعالى تكفل بتحفيظه وتفهمه إياه. وقد بين الله تعالى في سورة طه الوقت المنهي عن التعجل فيه بالقراءة قائلا: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ

(١) سورة القيامة رقمها (٣١) من حيث النزول كما أورد السيوطي ذلك في ذكره خبر جابر بن زيد في ترتيب سور القرآن من حيث النزول. وبعد سوجه لهذا الخبر قال: هذا سياق غريب في هذا الترتيب. انظر: السيوطي، عبدالرحمن: الإتيان في علوم القرآن. وبهامشه إجاز القرآن للباقلاني. ط: ٤. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ١٩٧٨م. ج ١ ص ٣٣.

(٢) الزمخشري: الكشاف. ص ١١٦١.

(٣) سورة القيامة: الآيتان ١٦، ١٧.

(٤) سورة القيامة: الآية ٢٠.

(٥) البخاري: صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب (فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة: ١٩]. حديث رقم (٤٩٢٩). ج ٢ ص ٥٢٢.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ^(١) أي "بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراه بعده"^(٢).

وقد استجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر ربه، فكان "إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل"^(٣).

وقد استدل الفخر الرازي بهذه الآية على أن التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل في أمور الدين^(٤). وذلك أن "العجلة أن تخرج الحدث قبل نضجه"^(٥).

ولا نسلم للرازي تعميمه هذا في ذم العجلة مطلقا هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا القول يبدو متناقضا مع ما ذكره الرازي نفسه، حين استدل بقوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ

مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)^(٦). على أن العجلة

في أمر الدين ممدوحة^(٧). لكننا نسلم للرازي أن العجلة مذمومة إذا أخرجت الحدث أو العمل قبل نضجه كما في هذا المشهد، ولو لم يكن مذموما ما نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عنه. ومما يمكن الاستدلال به على أن التعجيل في هذا المشهد كان مذموما هو حرف الردع (كَلَّا) في قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)^(٨). فقد وُجه الردع فيها إلى رسول الله صلى

صلى الله عليه وسلم كما يظهر من قول الزمخشري: "(كَلَّا): ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة"^(٩).

- (١) سورة طه: الآية ١١٤.
- (٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج٤ ص٥٤٠.
- (٣) سبق تخريجه. هامش رقم (٩٧).
- (٤) الفخر الرازي: التفسير الكبير. ج٣٠ ص٢٢٣.
- (٥) الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي. ١٧ مج. بلا طبعة. القاهرة: أخبار اليوم. بلا تاريخ. ج١٥ ص٩٤١٠.
- (٦) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.
- (٧) الفخر الرازي: التفسير الكبير. ج١١ ص٩٨.
- (٨) سورة القيامة: الآية ٢١.
- (٩) الزمخشري: الكشاف. ص١١٦٢.

والحقيقة أن أحدا من المفسرين لم يجعل الخطاب فيها موجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الزمخشري و البيضاوي^(١) والنسفي^(٢).

وما ذهب إليه هؤلاء مردود بل ممجوج، لأن الردع في الآية إنما هو بحق من يؤثر الدنيا على الآخرة، وهذا غير ممكن في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومع ذلك فإن هذا المشهد ثبت فيه بالنص القرآني والنبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي بالقرآن ينفعل عجلة وسرعة لتلقي هذا القرآن حفظاً وخوفاً من النسيان حتى قيل له: "إنك وإن أتيت بهذه المعذرة، لكنك يجب أن تعلم أن الحفظ لا يحصل إلا بتوفيق الله وإعانتة، فاترك هذا التعجيل واعتمد على هدايتنا ولا تستعن في طلب الحفظ بالتكرار"^(٣).

المشهد الثاني: عجلة الرسول صلى الله عليه وسلم في تمني النصر وطلبه

قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ اللَّبَّاسَاءِ وَالضَّغْرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)^(٤).

قبل الشروع في بيان الانفعال الذي تضمنه هذا المشهد ومدى شدته أو ضعفه، وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم مصيباً في انفعاله هذا أم كان مخطئاً فلامه الله تعالى وأنكر عليه؟ لا بد من معرفة من هو الرسول المقصود في قوله تعالى: (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) هل هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بشكل خاص ومحدد أم هو عام لكل الأنبياء عليهم السلام؟ يلاحظ أن عامة المفسرين اعتبروا (الرَّسُولُ) للجنس لا لواحد بعينه^(٥). وأن " كل رسول بعث

(١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج ٥ ص ٤٢٢.

(٢) النسفي: تفسير النسفي. ج ٤ ص ٣٠٠.

(٣) النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. ٦ مج. تحقيق: زكريا عميرات. ط: ١. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٦م. ج ٦ ص ٤٠٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٥) أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط. ٨ مج. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. ط: ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٣م. ج ٢ ص ١٤٩. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن. ٤ مج. بلا طبع. بيروت: مؤسسة الأعظمي للمطبوعات. بلا تاريخ. ج ١ ص ١٦٥. الألوسي: روح المعاني. ج ١ ص ١٠٤. رضا، محمد رشيد: تفسير المنار. ١٢ مج. ط: ٢. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ. ج ١ ص ٣٠١.

بعث إلى أمته يقول (مَتَى نَصَرُ اللَّهُ) ^(١). في حين أن القرطبي مال إلى أن المقصود هو الرسول صلى الله عليه وسلم بدلالة سبب نزول الآية ^(٢).

وكلام القرطبي هو الأقرب للصواب لأن معرفة سبب النزول تُعدّ عاملاً مهماً في تفسير القرآن، وعامة المفسرين ذكروا في سبب نزول الآية الكريمة، أنها نزلت في الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، سواء في غزوة أحد أو الخندق أو ما كانوا يلاقونه من أذى المشركين والمنافقين وأهل الكتاب ^(٣).

وعلى كلا القولين فإن الرسول صلى الله عليه وسلم داخل ضمن من شملهم هذا المشهد. وقد احتوت هذه الآية على استفهامين هما:

الأول: قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ) ^(٤). و(أَمْ) منقطعة

بمعنى: بل، والهمزة فيها قيل للإنكار ^(٥)، وقيل للتقرير ^(٦)، وجمع بينهما الزمخشري قائلاً: "الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده" ^(٧). وقد رُدّ عليه بأن التقرير والإنكار "لا يجتمعان في أن واحد في محل واحد" ^(٨). وسياق الآية يدل على أن الهمزة للإنكار واللوم، فإله تعالى ينكر عليهم هذا الحسبان. قال رشيد رضا: "وحاصل معنى الآية لوم المؤمنين على ذلك الحسبان" ^(٩).

- (١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير. ٨ مج. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله. ط: ١. بيروت: دار الفكر. ١٩٨٧ م. ج ١ ص ٢١١.
- (٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج ٣ ص ٣٥.
- (٣) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل أي القرآن. ١٠ مج. تحقيق: أحمد البكري وآخرين. ط: ٢. القاهرة: دار السلام. ٢٠٠٧ م. ج ٢ ص ٤٦. ابن الجوزي: زاد المسير. ج ١ ص ٢١٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ٨ مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. ١٩٩٣ م. ج ١ ص ٥٨٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: لباب النقول في أسباب النزول. ط: ١. بيروت: دار إحياء العلوم. ١٩٧٨ م. ص ٤١. الخازن، علي بن محمد: لباب التأويل في معاني التنزيل. ٤ مج. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ. ج ١ ص ١٤٢.
- (٤) سورة البقرة: الآية ٢١٤.
- (٥) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. ج ١ ص ٢١٥. البيضاوي: تفسير البيضاوي. ج ١ ص ١١٦. الجمل، سليمان بن عمر: الفتوحات الإلهية. ٤ مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ. ج ١ ص ١٧٠.
- (٦) أبو حيان: البحر المحيط. ج ١ ص ١٤٨.
- (٧) الزمخشري: الكشاف. ص ١٢٦.
- (٨) المطعني: التفسير البلاغي للاستفهام. ج ١ ص ١٢٤.
- (٩) رضا: تفسير المنار. ج ٢ ص ٣٠١.

الثاني: قوله تعالى على لسان الرسول والذين آمنوا معه: (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ). والاستفهام هنا للاستبطاء^(١)، أي استبطاء مجيء النصر. وهذا قول معظم المفسرين^(٢). ويمكن الجمع بين القولين بأن الرسول والذين آمنوا معه حين اشتد عليهم الأذى والاضطهاد والعذاب، وتأخر عنهم النصر لحكمة يعلمها الله تعالى استعجلوا وتسرعوا فطلبوا النصر وتمنوه. ولكن ما هو السبب المباشر الذي أثار على الرسول صلى الله عليه وسلم نفسياً حتى استعجل في تمني النصر وطلبه؟ لأن الذي يعنينا في بحثنا هذا هو الدافع النفسي الذي سبب هذا الانفعال. إن الملاحظ من خلال هذا النص القرآني أن "محنة فوق الوصف"^(٣) عاشها الرسول والذين آمنوا معه، سواء أكان ذلك في مسيرة دعوته، أم في واقعة معينة، كانت السبب المباشر لهذه النفسية المتعجلة في هذا المشهد. ويصور رشيد رضا هذه المحنة ومدى تأثيرها على الحالة النفسية والجسدية للرسول بقوله: "حتى وصلوا إلى الغاية من الشدائد والأهوال لم يروا فيها منفذا لسبب من أسباب الفوز، لأن قوة أعداء الحق أحاطت بهم من كل جانب، ودنت حتى أخذت بأكظامهم، فاعتقدوا أن وقت العناية الإلهية والنصر الذي وعد الله به من ينصر الحق قد حان وقته أو أبطأ فاستعجلوه بقولهم: (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)"^(٤).

فقوله تعالى: (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)^(٥). هذا النص القرآني يشير إلى عظم الأهوال والشدائد وصنوف الأذى وألوانها التي صبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه فجعلهم يفعلون وتتحرك في خواطرهم الظنون والهواجس فيستعجلون نصر الله، ويلحون على الله تعالى في طلبه قائلين: (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ). يقول عبد الكريم الخطيب: "وكم لاقوا من أهوال، وكم تجرعوا من غصص، مما رهقهم به سفهاء أقوامهم من جهالات وسفاهات (مَسَّهِمُ الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا) أي اضطربت

(١) أبو حيان: البحر المحيط. ج ١ ص ١٤٩.
 (٢) انظر: الزمخشري: الكشاف. ص ١٢٦. أبو السعود: إرشاد العقل السليم. ج ١ ص ٢١٥. الألويسي: روح المعاني. ج ٢ ص ١٠٤.
 (٣) قطب: في ظلال القرآن. ج ١ ص ٢١٩.
 (٤) رضا: تفسير المنار. ج ٢ ص ٣٠١.
 (٥) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

مشاعرهم، وتبلبلت خواطرهم، واستيأسوا وظنوا أنهم أحيط بهم، فاستعجلوا النصر الذي وعدهم الله^(١).

ومعنى قوله تعالى: ((وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ^(٢))، أي: "أزعجوا إزعاجاً شديداً

شبيهاً بالزلزلة، بما أصابهم من الأهوال والأفزع (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) إلى الغاية التي قال

الرسول ومن معه فيها: (مَتَى فَصَرُّ اللَّهِ)^(٣). والزلزلة هي: "التخويف والتحذير، والزلزال:

التشدائد والأهوال، والزلزلة في الأصل: الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض"^(٤).

وهذه المعاني للزلزلة تدل على عظم الأهوال، وكأن القلوب لشدة الأهوال تحركت من مكانها كحركة الأرض وقت الزلزال كما قال الله تعالى في وصف ما حصل للمسلمين في غزوة

الأحزاب: (إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿٥٦﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

زَلْزَالًا شَدِيدًا)^(٥).

وأما محاولات المفسرين السابقين في تصوير الأهوال التي واجهت الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من خلال النص القرآني، فإنها تقرب لنا صورة المشهد الذي دفع بالثلة المؤمنة وعلى رأسها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى استعجال النصر وتمنيه وطلبه، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالله تعالى، وأشدهم توكلاً عليه، وأكثرهم يقيناً بموعد الله تعالى.

وقد يرد سؤال وهو: كيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم استعجال النصر وطلبه بعد استبطائه وهو الموقن بصدق وعد الله تعالى بالنصر؟

(١) الخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن. ١٦ مج. بلا طبعة. القاهرة: دار الفكر العربي. بلا ت.

ج ٢ ص ٢٣٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٣) الزمخشري: الكشاف. ص ١٢٦.

(٤) ابن منظور: لسان العرب. ج ١ ص ٣٠٨.

(٥) سورة الأحزاب: الآيتان ١٠، ١١.

والجواب: إن كونه رسولا لا يمنع عليه الأمور الآتية:
أولا: إنه صلى الله عليه وسلم كباقي البشر، يتعرض لما يتعرض له البشر من الأذى والضرر والاختبار والابتلاء، قال تعالى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم: **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)**^(١).

ثانيا: "جواز الأعراض البشرية على الرسل كالقلق والاستبطاء للوعد الإلهي انتظارا له"^(٢).

المبحث الثالث: الآثار التربوية المستفادة من انفعال العجلة عند الأنبياء عليهم السلام

الأحداث التي عرض لها القرآن الكريم غنية بالعبير والعظات والحكم والدروس التي يفيد منها المسلم في حياته، ويواجه من خلالها المحن والآفات التي تصيب عزيته وإرادته وتثبطه عن السير قدما في طريق الدعوة.

وقد جاءت مشاهد انفعال العجلة عند النبيين موسى ومحمد عليهما السلام نماذج عملية للفئة المختارة من البشر وهم الأنبياء عليهم السلام بل هم من أكثر الأنبياء عليهم السلام معاناة للأذى والاضطهاد من أقوامهم.

ودورنا في هذا المبحث هو استنباط الآثار التربوية المستفادة من انفعال العجلة من خلال هذه المشاهد . ومن هذه الآثار:

أولا : انفعال العجلة وإن كان بنية صالحة إلا أنه قد يؤدي إلى نتائج لا تحمد عقبها

فمن نتائج انفعال العجلة التي كشفت عنها المشاهد القرآنية السابقة:

١ . عبادة غير الله والتهجم على أنبياء الله تعالى

فهذا موسى عليه السلام قد واعد رب العزة هو وقومه على جبل الطور بعد أربعين يوما، وهذه المواعدة وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، في موضعين منها كانت المواعدة فيها تختص بموسى عليه السلام وحده:

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) الجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. ٤ مج. ط: ٢. جدة: راسم للدعاية والإعلان.

١٩٨٧م. ج ١ ص ١٦١.

- قال تعالى: (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) (١).

- وقال تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (٢).

- وأما الموضع الثالث فقد كانت المواعدة فيه تعم بني إسرائيل بدون استثناء، قال تعالى: (يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى) (٣).

وما دام بنو إسرائيل بمن فيهم موسى عليه السلام مكرّمون بهذه الضيافة الربانية، وهذه المواعدة الإلهية فما كان ينبغي لموسى عليه السلام أن يتعجل قومه للقاء ربه تعالى منفصلاً عنهم، بغض النظر عن السبب الذي جعله يفعل عجلة للقاء الله تعالى. واختصاص موسى عليه السلام بالمواعدة في الموضعين السابقين، إنما هو مزيد حب ورضا، وبيان شرف المنزلة والمكانة له عند الله تعالى.

واستعجال موسى عليه السلام هذا اللقاء إنما كان اشتياقاً لله تعالى وحباً له وأنساً لسماع كلامه، وكان قد جرب ذلك من قبل، يقول سيد قطب: "لقد غلب الشوق على موسى عليه السلام إلى مناجاة ربه، والوقوف بين يديه، وقد ذاق حلاوتها من قبل فهو إليها مشتاق عجول" (٤). وانفعاله هذا استحق عليه من الله تعالى الإنكار واللوم والعتاب، ولو بقي أثر هذا الانفعال مختصاً بشخص موسى عليه السلام لسهل الأمر وهان، ولكنه تعداه إلى بني إسرائيل كلهم، حيث كان من نتائج هذا الانفعال:

١. عبادة بني إسرائيل العجل بعد تفرد السامري بهم، وتزيين هذه العبادة لهم.
٢. استخفاف بني إسرائيل بهارون عليه السلام، واستضعافه، ومحاولة قتله.

(١) سورة البقرة: الآية ٥١.
 (٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.
 (٣) سورة طه: الآية ٨٠.
 (٤) قطب: في ظلال القرآن. ج ٤ ص ٢٣٤٦.

٣. توهم بني إسرائيل تعاضم موسى عليه السلام وتكبره عليهم.

وقد دل على نتيجة هذا الانفعال قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: (قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ) ^(١). يقول أبو زهرة: "والفاء للسببية، أي بسبب غيبتك وعدم قيامك بحق الرقابة النفسية عليهم التي مكناك منها (قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ)" ^(٢). وهذه الغيبة سببها تعجله عليه السلام للقاء الله تعالى منفصلاً عن قومه، تاركاً إياهم في عهدة أخيه هارون عليه السلام، قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اكْحُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ^(٣). يقول البقاعي: "(فإنَّا) قد تسبب عن عجلتك عنهم أننا (قَدْ فَتَنَّا)" ^(٤).

فهذه النتيجة لا شك أنها خطيرة للغاية، ومهلكة لبني إسرائيل، وتسببت في لوم الله تعالى لنبيه وكليمه عليه السلام، وهذا يدل على أن هذا الانفعال لم يكن محموداً.

٢. عدم القدرة على الوفاء بالعهود والمواثيق

فموسى عليه السلام حين عقد ميثاقاً بينه وبين الخضر عليه السلام، شرط على نفسه التزام الصبر وعدم التعجل بالاعتراض على أي عمل أو تصرف يقوم به الخضر عليه السلام، حتى وإن كان ظاهره مستهجناً ومستغرباً قائلاً: (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ

(١) سورة طه: الآية ٨٥.

(٢) أبو زهرة: زهرة التفسير. ج ٩ ص ٤٧٦٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٤) البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ٨ مج. خرَجَ أحاديثه: عبد الرزاق المهدي. ط: ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥م. ج ٥ ص ٣٦.

أمرًا^(١) وقد أكد موسى عليه السلام هذا الشرط بقوله (سَتَجِدُنِي) "والسين لتأكيد ما يقع في المستقبل"^(٢).

ويعتبر ما شرطه موسى عليه السلام على نفسه ملزماً "والمسلمون عند شروطهم"^(٣)، وأحق الشروط أن يوفى به ما التزمه الأنبياء، أو التزم للأنبيا"^(٤).

والظاهر أن سياق قصة موسى مع الخضر عليهما السلام أكد أن موسى عليه السلام لم يلتزم بالشرط، وأن سبب عدم التزامه تعجله بالاعتراض على تصرفات الخضر عليه السلام؛ لما رأى ما في ظاهرها من نكارة.

ونتيجة لذلك تم فسخ الاتفاق والميثاق بينهما، حيث قال الخضر عليه السلام: (هَذَا فِرَاقُ

بَيْنِي وَبَيْنِكَ)^(٥).

يقول أبو زهرة: "كأنه بهذا يشير إلى أن كثرة المجاوبات وعدم الصبر هو الذي كان سبب الفراق بيني وبينك"^(٦).

٣. فقدان الصحبة

فموسى عليه السلام بسبب تعجله وعدم صبره يفقد صحبة الخضر عليه السلام، وهو الذي بذل جهداً كبيراً حتى يصل إلى الخضر عليه السلام كي يصحبه ويتعلم منه، وبعد الظفر به يفقد صحبته، قال الخضر عليه السلام وهو ينهي هذه الصحبة بعد إعداره لتعجل موسى عليه السلام

ثلاث مرات: (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)^(٧).

(١) سورة الكهف: الآية ٦٩.

(٢) أبو زهرة: زهرة التفاسير. ج٩ ص ٤٥٦٠.

(٣) حديث مرفوع رواه البخاري معلقاً، وأخرجه الحاكم وصححه الألباني. انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب أجر السمسرة، ج٢ ص ٧٩٤. الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین. ٤ مج. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط: ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م. كتاب البيوع. حديث رقم (٢٣١٠)، ج٢ ص ٥٧. الألباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة. ٧ مج. الرياض: مكتبة المعارف. حديث رقم (٢٩١٥).

(٤) ابن العربي، محمد بن عبد الله: أحكام القرآن. ٤ مج. تحقيق: علي البجاوي. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة، دار الجيل. ١٩٨٧م. ج٣ ص ١٢٤٦.

(٥) سورة الكهف: الآية ٧٨.

(٦) أبو زهرة: زهرة التفاسير. ج٩ ص ٤٥٦٧.

(٧) سورة الكهف: الآية ٧٨.

ويبدو أن إعلان الفراق هذا كان بسبب اعتراض موسى عليه السلام على التصرفات الثلاثة، ولكن التصرف الأخير كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير.

يقول أبو زهرة: "ومهما يكن ما يشير إليه اسم الإشارة، فالمعنى أن ذلك هو الحد الفاصل الذي فرق بينهما في هذه الصحبة، فهو إيذان بانتهاء المصاحبة التي كان منها ذلك التعليم مما علمه الله تعالى"^(١).

ثانياً: انفعال العجلة له أسباب ودوافع

ومن أهم الأسباب التي بينتها المشاهد القرآنية لانفعال العجلة عند الأنبياء عليهم السلام:

١. الدافع الإيماني

فالإيمان إذا قوي وتمكن في القلب وُلد طاقة ضخمة تدفع صاحبها إلى التعجل لعمل الخير والتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، وإذا كان هذا الأمر في حق المؤمن العادي فكيف بحق الأنبياء عليهم السلام الذين طهر الله تعالى بواطنهم من كل وسوسة وخبينة، وزكى نفوسهم بعنابته، وكانوا بذلك أقوى الناس إيماناً، وأصلبهم عوداً، وأكثرهم طاعة وقربى لله تعالى.

فهذا موسى عليه السلام كلّم الله تعالى كان الإيمان يشع من كل جوانبه، حين عاتبه ربه وأنكر عليه عجلته في ملاقاته دون قومه أجاب ربه عز وجل بأن سبب عجلته والدافع الذي جعله يسبق قومه لملاقاته هو **(وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)**^(٢). أي "الذي عجلني إليك يا رب، الطلب لقربك، والمسارعة في رضاك، والشوق إليك"^(٣).

وما من شك في أن الله تعالى قد رضي عن أنبيائه كلهم، ولكن موسى عليه السلام أراد أن يزداد الله تعالى عنه رضا بهذه العجلة، أو أنه ظن أن التعجل وسيلة إلى زيادة رضا الله تعالى عن عبده. ولذا جاء في تفسير الآية **(وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)**^(٤). أي "لتزداد عني رضا"^(٥).

فالرضا حاصل ولكن موسى عليه السلام يبغى الزيادة، وهذا من الدافع الإيماني. ومع ذلك فإن موسى عليه السلام تلقى العتاب الإلهي بالانكسار عليه بسبب ما آل إليه تعجله من نتائج سلبية على قومه.

(١) أبو زهرة: زهرة التفاسير. ج٩ ص٤٥٦٧.

(٢) سورة طه: الآية ٨٤.

(٣) السعدي: تيسير الكريم الرحمن. ج ٢ ص ٦٩٠.

(٤) سورة طه: الآية ٨٤.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج٤ ص٥٣١.

٢. وجود المنكر أو ظهوره

فأي منكر يظهر في المجتمع لا بد من تغييره امتثالاً لقوله عليه السلام: (من رأى منكم منكراً فليغيره ..)^(١). وأول الناس وأولاهم بتغيير المنكر والعمل على تغييره هم الأنبياء عليهم السلام، بل ما قامت رسالات الأنبياء عبر التاريخ إلا لتغيير منكرات أقوامهم، واستبدالها بالمعروف، فهذه وظيفة الأنبياء.

وموسى عليه السلام ما سكت أمام منكر قط وما كان له ذلك، وقصته مع الخضر عليه السلام أكبر برهان على ذلك، فلقد أنسته رؤية المنكر كما بدا في الظاهر اتفاقيته مع الخضر عليه السلام بعدم الاعتراض أو الإنكار.

حين رأى الخضر عليه السلام يخرق السفينة وفيها ركابها وأصحابها، أسرع منكراً عليه هذا الفعل متعجلاً وناسياً، قائلاً: (أَخْرَقَتَهَا لِيُتَغَرَّقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)^(٢)، أي لقد جئت شيئاً منكراً و شنيعاً^(٣).

وفي المرة الثانية يرى تصرفاً غريباً أشد فظاعة من الأول، رأى الخضر عليه السلام ينزع رأس غلام من بين الغلمان فيقتله دون أي مسوغ أو سبب ظاهر، فيسرع منكراً عليه فعلته وبلهجة أشد من الأولى، وغضب ظاهر قائلاً: (أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)^(٤).

أي "ظاهر النكارة"^(٥).

فكانت رؤية المنكر سبباً رئيساً من أسباب انفعال العجلة عند موسى عليه السلام.

٣. واقع الأعداء وبطشهم وتسلبهم

يتسلط أعداء الدين على أهل الإيمان، فيسومونهم سوء العذاب، ويتفننون في وسائل إيذائهم، وقد نال الأنبياء عليهم السلام النصيب الأوفى من هذا الاضطهاد وهذا العذاب، حيث لم ينج أحد منهم من هذه الشدة وهذا الكرب، وقد صور سيد قطب حالة الأنبياء النفسية أمام بطش أعداء

(١) رواه مسلم. انظر: مسلم: صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب كون النهي عن المنكر من الإيمان. .. حديث رقم (٧٨). ج ١ ص ٦٩.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧١.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج ٤ ص ٤١٢. السعدي: تيسير الكريم الرحمن. ج ١ ص ٦٤٩.

(٤) سورة الكهف: الآية ٧٤.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج ٤ ص ٤١٢.

الدين وانتفاشهم وانتفاخهم حيث قال: "إنها صورة رهيبة، ترسم مبلغ الشدة والكرب والضيق في حياة الرسل وهم يواجهون الكفر والعمى والإصرار والجحود"^(١).

فشدة المحن والكروب وكثرة الأهوال والخطوب التي تعرض لها الأنبياء عليهم السلام بما فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وطغيان الباطل مع تأخير النصر لحكمة أرادها الله تعالى كانت السبب في تعجل الأنبياء عليهم السلام لهذا النصر قائلين: (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)، يقول سيد قطب عند هذه الآية: "إن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه. من الرسول الموصول بالله، والمؤمنين الذين آمنوا بالله. إن سؤالهم (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة. ولن تكون إلا محنة فوق الوصف"^(٢).

إن الأنبياء عليهم السلام بشر، تصيبهم حالات الوجوم والكآبة والضيق والشدة من واقع الأعداء وما يلاقونه منهم. لكن كيف يمكن أن نوفق بين تعجل النبي صلى الله عليه وسلم في طلب النصر بسبب ضغط الواقع وواقع الأعداء، وبين نهى النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام عن استعجال النصر، كما جاء في حديث خباب بن الأرت حين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلاقونه من شدة الأذى من المشركين، طالبا منه أن يدعو الله لهم بالنصر فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن بين له حالة أتباع الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وشدة الأذى الذي لاقوه منهم، وأنواع العذاب الذي صبّوه على رؤوسهم، ومع ذلك ثبت المؤمنون على دينهم، قال: "والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"^(٣)؟

والجواب على ذلك لا يخرج في ظننا عن ثلاثة أمور هي:

الأول: أن حادثة خباب رضي الله عنه كانت في العهد المكي، في مرحلة التمحيص والابتلاء والاختبار، فالتعجل في الانتقال من هذه المرحلة قبل نضجها قد يؤثر على قوة حملة رسالة الإسلام من الصحابة الكرام وصلابتهم، فكان لا بد أن تأخذ هذه المرحلة زمنها المقدر لها عند عالم الغيب والشهادة، من هنا لم يستعجل الرسول صلى الله عليه وسلم طلب النصر في هذه المرة.

(١) قطب: في ظلال القرآن. ج ٤ ص ٢٠٣٥.

(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ٢١٨-٢١٩.

(٣) رواه البخاري. انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب المناقب. باب علامات النبوة في الإسلام. حديث رقم (٣٦١٢). ج ٢ ص ٣٣.

الثاني: تعجل الرسول صلى الله عليه وسلم طلب النصر كان في العهد المدني، حيث إن الآية (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ) (١) مدنية، وكل من ذكر سبب نزولها ذكر أحداثاً

ووقائع من غزوة بدر إلى فتح مكة، وأكثرهم على أنها غزوة الأحزاب (٢)، حيث زلزل المؤمنون زلزالاً شديداً وبلغت القلوب الحناجر من شدة الأحوال والشدائد، وما من شك أن الفتنة والشدة بعد الرخاء والنصر لها تأثير عجيب على النفوس، وقلّة من النفوس من تتحمل ذلك. فكانت هذه الشدائد أشد مما لقيه المسلمون في العهد المكي. فاستعجل الرسول صلى الله عليه وسلم النصر هنا.

الثالث: الرسول صلى الله عليه وسلم بشر يعتريه ما يعترى البشر من انفعالات وهفوات، يصوّبها الحق تعالى بعد أن ينكر عليه أحياناً أو يعاتبه ويزجره أحياناً أخرى، وقد يكون تعجل الرسول صلى الله عليه وسلم النصر يندرج تحت هذا الأمر.

ثالثاً: انفعال العجلة يفوت مصالح جمّة، ومنافع عديدة

فمن هذه المصالح التي بيّنتها مشاهد العجلة عند الأنبياء عليهم السلام:

١. تفويت العديد من الأحداث والوقائع التي فيها الدروس والعبر والعظات

فموسى عليه السلام بتعجله في الاعتراض على تصرفات الخضر عليه السلام التي ظاهرها المنكر فوّت كثيراً من الوقائع والمشاهد التي لو تمت لكان فيها الدروس والعبر. فلو صبر موسى عليه السلام على الخضر عليه السلام وما تعجل لشاهد ورأى بأمر عينه مزيداً من التصرفات والأحداث التي فيها الغرابة.

وهذا التعجل والتسرع من موسى عليه السلام، وتفويته لمعرفة المزيد عن هذه المشاهد والأحداث جعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يلوم موسى عليه السلام على تعجله، أحياناً بصيغة يظهر فيها رغبة في الاستزادة من معرفة هذه الأحداث كقوله صلى الله عليه وسلم: (وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما) (٣)، وأحياناً أخرى بصيغة مقترنة بالدعاء كقوله صلى الله عليه وسلم: (رحمة الله علينا وعلى موسى. لولا أنه عجل لرأى العجب. ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة) (٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٢) الطبري: جامع البيان، ج٢ ص٤٦. ابن الجوزي: زاد المسير، ج١ ص٢١٠. السيوطي: الدر المنثور، ج١ ص٥٨٤. السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص٤١. الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج١ ص١٤٢.

(٣) رواه البخاري. انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أُبْرَحُ

حَتَّىٰ آتَىٰ أَلْبُلُغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمَضِيَ حُقُبًا) (الكهف: ٦٠). حديث رقم (٤٧٢٥). ج٢ ص٤٥٥.

(٤) رواه مسلم. انظر: مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب من فضائل الخضر عليه السلام. حديث رقم (٢٣٨٠). ج٤ ص١٨٥١.

٢. تفويت أنفع وسيلة للحفظ وهي الإنصات والاستماع

فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كاد بتعجله أخذ القرآن الكريم مباشرة من الملك قبل أن يتم الملك تلاوته كاد أن يفوت أنفع الوسائل للحفظ ، قال تعالى: (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

بِهِ) ^(١). حيث كانت حالة الرسول صلى الله عليه وسلم النفسية حين يلقى إليه الوحي في بداية الأمر أنه كان "يبادر إلى أخذه ، ويسابق الملك في قراءته، ويحرك شفثيه ولسانه بالقرآن إذا أنزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي حرصاً على أن يحفظه" ^(٢). ولذا جاء النهي عن ذلك بقوله تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) ^(٣). وهذا النهي عن التعجل في مسابقة الوحي إنما جاء " لتعليمنا أسلوباً من أساليب التربية ، وهو أسلوب التوجيه في تعليم ما هو الأفضل عقب الممارسة التي يراد تصحيحها أو تقويمها ولا سيما عند ممارسة عمل لا يصح التمادي فيه" ^(٤).

فالإنصات والاستماع إلى الملقن أو المعلم أو المربي حتى يتم كلامه من أنجع وسائل حفظ المعلومة ودقتها . ولذا رأينا النبي صلى الله عليه وسلم بعد النهي عن هذه العجلة يستقبل الوحي بقلب صاف ونفس مطمئنة هادئة غير متعجلة ، ولسان وشفثين صامتين حتى يتم الملك رسالة ربه تعالى.

وفي هذا "أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم للعلم، قبل أن يفرغ المعلم من المسألة التي شرع فيها" ^(٥)، بل كان إذا أراد أن يكلم الناس بأمر مهم يأمرهم أن ينصتوا، كما ثبت في الصحيح من حديث جرير ^(٦) أن النبي عليه السلام قال له في حجة الوداع: "استنصت الناس" ^(٧).

- (١) سورة القيامة: الآية ١٦.
- (٢) الزحيلي: التفسير المنير. ج ٢٩ ص ٥٤٧.
- (٣) سورة طه: الآية ١١٤.
- (٤) الميداني: معارج التفكير. ج ٢ ص ٤٨٩.
- (٥) السعدي: تيسير الكريم الرحمن. ج ٢ ص ١٢٥٤.
- (٦) هو الصحابي الجليل: جرير بن عبد الله البجلي، سيد قبيلته بجيلة، كان إسلامه في العام الذي توفي فيه الرسول عليه السلام، قال عن نفسه أسلمت قبل موت الرسول عليه السلام بأربعين يوماً، نزل الكوفة وسكنها، كانت له أخبار مع علي ومعاوية رضي الله عنهم، مات سنة أربع وخمسين ، وقيل إحدى وخمسين، روى عنه أنس بن مالك، وقيس بن حازم، وغيرهم. أنظر: ابن عبد البر، يوسف: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق وترتيب: خليل شحاح. ط: ١ بيروت: دار المعرفة. ٢٠٠٦م. ص ١٤٥-١٤٧.
- (٧) البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب الإنصات للعلماء. حديث رقم (١٢١). ج ١ ص ٤٠. مسلم: صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ". حديث رقم (٦٥). ج ١ ص ٨٢.

٣. تفويت مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية

لقد كانت مصلحة بني إسرائيل توجب بقاء موسى عليه السلام معهم، وعدم التعجل في الانفصال عنهم لملاقاة الله تعالى، وذلك أن القوم حديثو عهد بالدين، ولا زالت علائق الشرك والجاهلية متأصلة فيهم، كما أنهم كانوا متأثرين بمن جاورهم من المشركين.

قال تعالى: (وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ

هُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)^(١).

فخرج موسى عليه السلام وهم على هذا الحال فوّت عليهم مصلحة كبرى، إنها مصلحة الدين، والحفاظ على الشريعة. وقد دل على هذه المصلحة أن موسى عليه السلام ما إن خرج من بينهم متعجلاً لقاء ربه تعالى حتى فتنوا بعبادة العجل، وأضلّهم السامري، واعتدوا على نبي الله هارون عليه السلام.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد: بعد أن تم استعراض الجوانب الرئيسية المتعلقة بانفعال العجلة، وتأثير هذا الانفعال سلبيًا أو إيجابيًا على الأنبياء عليهم السلام بحكم بشريتهم، تبين لنا ما يأتي:

١. العجلة انفعال فطري، فطر الله الإنسان عليه، وجبله به، قال تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَجَلٍ)^(١).

٢. العجلة في الغالب انفعال سلبي، فمعظم الآيات القرآنية التي وردت في انفعال العجلة جاءت بصيغة الذم والإنكار، نظراً للنتائج السيئة المترتبة عليه، حتى رأينا من العلماء من يعدّ العجلة مذمومة حتى في أمور الدين، وهذا كلام تعوزه الدقة.

٣. تُمدح العجلة إذا كانت في أمور الدين، ولم ينتج عنها أي مفسدة على النفس أو الناس، لأن درء المفسد أولى من جلب المصالح، وما حصل لموسى عليه السلام أكبر شاهد لهذه القاعدة.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٧.

٤. الأنبياء عليهم السلام بشر، يعترهم ما يعترى البشر من العجلة، إلا أن الله تعالى كان ينكر عليهم ويعاتبهم في ذلك ثم يصوبهم.
٥. شاءت حكمة الله تعالى أن تكون العجلة بارزة في المشاهد القرآنية عند موسى ومحمد عليهما السلام فقط، وذلك لما كان يعانيه هذان النبيان من الشدة والأذى من أقوامهما، الأمر الذي جعل هذا الانفعال يظهر لديهما في مواطن محددة.
٦. قصص الأنبياء عليهم السلام معين زاخر بالعبور والدروس، والأجيال جيلا بعد جيل ستبقى ترشف من هذا المعين ولن ينضب حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

المراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد. النهاية في غريب الحديث والأثر. ٥مج. تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناخي. بلا طبعة. المكتبة الإسلامية. بلا تاريخ. بيروت.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. بلا طبعة. المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ. القاهرة.
- الألباني، محمد ناصر الدين. السلسلة الصحيحة. ٧مج. مكتبة المعارف. الرياض.
- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح وضعيف سنن أبي داود. برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٩٥م). صحيح وضعيف سنن الترمذي. بلا طبعة. مكتبة المعارف. الرياض.
- الألوسي، السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ١٥مج. بلا طبعة. دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ. بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (٢٠٠٣). الجامع الصحيح المسند المختصر (صحيح البخاري). ٣مج. تبويب وترقيم. محمد فؤاد عبد الباقي. ط ١. مكتبة الصفا. القاهرة.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. (١٩٩٥). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ٨مج. خرّج أحاديثه. عبد الرزاق المهدي. ط ١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بهامشه حاشية أبي الفضل القرشي الصديقي. ٢مج. بلا طبعة. دار الحيل. بلا تاريخ. بيروت.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي. الجامع الصحيح (سنن الترمذي). تحقيق: الشيخ الألباني. ط ١. مكتبة المعارف. بلا تاريخ. الرياض.

- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد مخلوف. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. ٤مج. بلا طبعة. بيروت. مؤسسة الأعظمي للمطبوعات. بلا تاريخ.
- الجزائري، أبو بكر جابر. (١٩٨٧م). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. ٤مج. ط٢. راسم للدعاية والإعلان. جدة.
- الجمل، سليمان بن عمر. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. ٤مج. بلا طبعة. دار الفكر. بلا تاريخ. بيروت.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (٩٨٧م). زاد المسير في علم التفسير. ٨مج. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله. ط١. دار الفكر. بيروت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٧٩م). الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية. ٧مج. ط٣. دار العلم للملايين. بيروت.
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري. (٩٩٠م). المستدرک علی الصحیحین. ٤مج. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ٣مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. دار المعرفة. بلا تاريخ. بيروت.
- حوى، سعيد. (١٩٨٥). الأساس في التفسير. ١٢مج. ط١. دار السلام للطباعة والنشر. القاهرة.
- أبو حيان، محمد بن يوسف. (١٩٩٣م). البحر المحيط. ٨مج. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الخازن، علي بن محمد. لياب التأويل في معاني التنزيل. ٤مج. بلا طبعة. دار المعرفة. بلا تاريخ. بيروت.
- الخالدي، صلاح. (٢٠٠٧). القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. ٤مج. ط٢. دمشق بيروت. دار القلم، الدار الشامية.
- الخطيب، عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. ٦مج. بلا طبعة. دار الفكر العربي. بلا تاريخ. القاهرة.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. اعتنى به مشهور آل سلمان. ط١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ. الرياض.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. (١٩٧٩م). مختار الصحاح. ط١. دار الكتاب العربي. بيروت.
- الرازي، محمد بن عمر. (١٩٨٥م). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. ١٥مج. ط٣. دار الفكر. بيروت.

- رضا، محمد رشيد. تفسير المنار. ١٢ مج. ط ٢. دار الفكر. بلا تاريخ. بيروت.
- الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. ١٠ مج. بلا طبعة. مكتبة الحياة. بلا ت. بيروت.
- الزحيلي، دوهبة. (١٩٩٨م). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ١٥ مج. ط ١. دمشق، بيروت. دار الفكر، دار الفكر المعاصر.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (٢٠٠٥). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: خليل مأمون شيحا. ط ٢. دار المعرفة. بيروت.
- أبو زهرة، محمد. زهرة التفاسير. ١٠ مج. بلا طبعة. دار الفكر العربي. بلا تاريخ. القاهرة.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ٢ مج. ط ١. مطبعة النور. فلسطين.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. (١٩٩٠م). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ٦ مج. ط ١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٧٨م). الإتقان في علوم القرآن. وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني. ط ٤. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٣م). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ٨ مج. بلا طبعة. دار الفكر. بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٧٨م). لباب النقول في أسباب النزول. ط ١. دار إحياء العلوم. بيروت.
- الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. ١٧ مج. بلا طبعة. القاهرة. أخبار اليوم. بلا تاريخ.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل آي القرآن. ١٠ مج. تحقيق: أحمد البكري وآخرون. ط ٢. القاهرة. دار السلام. ٢٠٠٧م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. ١٢ مج. بلا طبعة. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. بلا تاريخ.
- عبد الباقي، محمد فؤاد. (٢٠٠١م). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. بلا طبعة. دار الحديث. القاهرة.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله. (١٩٨٧م). أحكام القرآن. ٤ مج. تحقيق: علي الجاوي. بلا طبعة. دار المعرفة. دار الجيل. بيروت.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. الفروق اللغوية. تحقيق: محمد سليم. دار العلم والثقافة. بلا طبعة وتاريخ. القاهرة.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (٢٠٠٧). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ٦ مج. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. ط٢. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ٤ مج. بلا ط. دار الجيل. بلا تاريخ. بيروت.
- القاسمي، محمد جمال الدين. محاسن التأويل. ١٠ مج. تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. دار إحياء الكتاب العربية. بلا تاريخ. القاهرة.
- القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. ٢٢ مج. بلا طبعة. دار الفكر. بلا تاريخ. بيروت.
- قطب، سيد. (١٩٩٢). في ظلال القرآن. ٦ مج. ط١٧. القاهرة، بيروت. دار الشروق.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (١٩٧٠م). تفسير القرآن العظيم. ٧ مج. ط٢. دار الفكر. بيروت.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. (١٩٨٣م). صحيح مسلم. ٥ مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط. بلا طبعة. مجمع اللغة العربية. بلا تاريخ. القاهرة.
- المطعني، عبد العظيم إبراهيم. (١٩٩٠م). التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم. ٤ مج. ط١. مكتبة وهبة. القاهرة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ١٥ مج. بلا طبعة. دار صادر. بلا تاريخ. بيروت.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. (٢٠٠٦). معارج التفكير ودقائق التدبير. ١٥ مج. ط١. دار القلم. دمشق.
- النسفي، عبد الله بن أحمد. تفسير النسفي. ٢ مج. بلا طبعة. بيروت. ١٩٨٢م.
- النووي، يحيى بن شرف. (١٩٨١م). صحيح مسلم بشرح النووي. ٩ مج. بلا طبعة. دار الكتاب العربي. بيروت.
- النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين. (١٩٩٦م). تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. ٦ مج. تحقيق: زكريا عميرات. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.